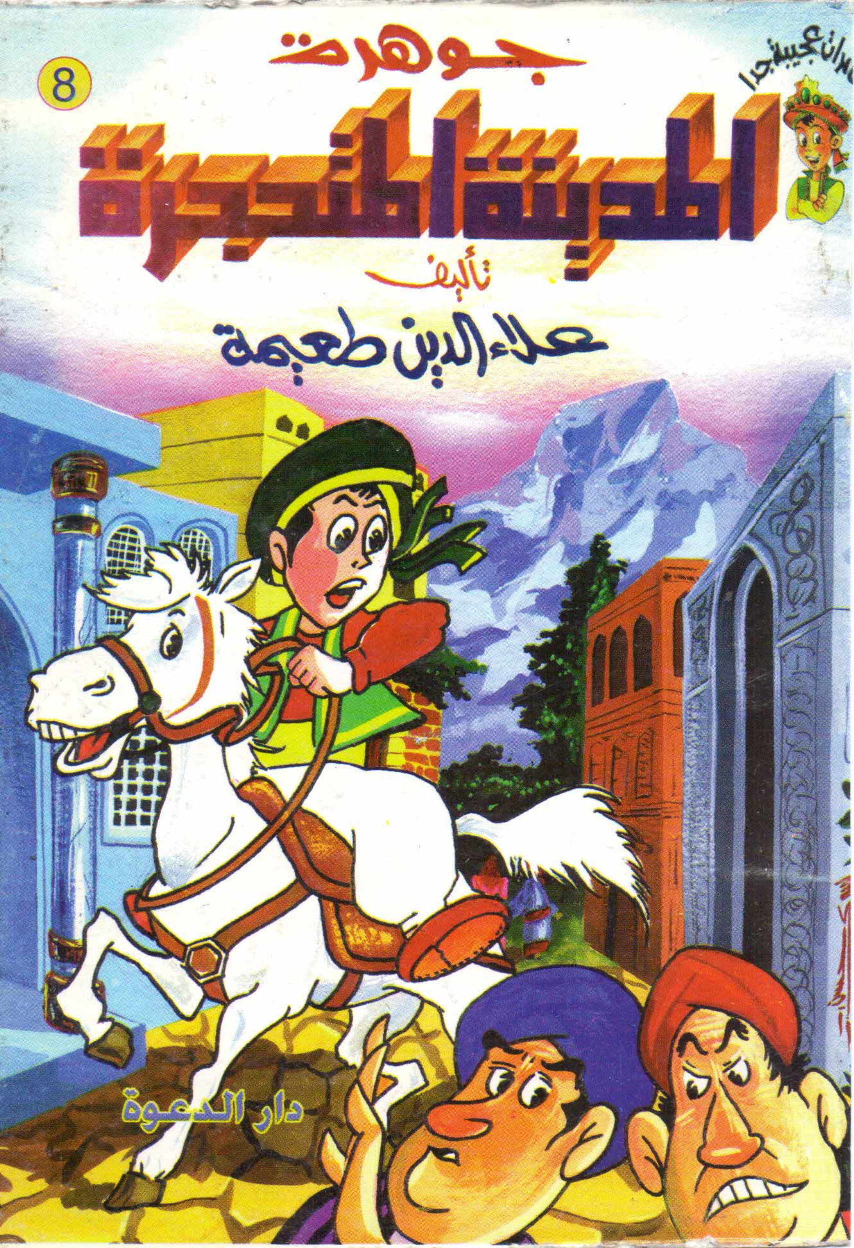


8
جوهرة
المدينة المتحجرة
تأليف
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



جوهرة

المدينة المتحجرة

لقد كان منظراً بشعاً مخيفاً ...ثلاثة من الرجال وجوههم وملابسهم كقراصنة البحار ، متجمعين حول فتاة جميله مطروحة على الأرض، وبيد أحدهم سيف حاد والآخر يحمل بلطة لامعة، والثالث يرفع بكلتا يديه ساطوراً غليظاً ، ينوون الثلاثة أن يهووا على الفتاة فى ضربة واحدة ، وهى ترفع زراعها تستغيث منهم...

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي : ٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
ت : ٤٩٠١٩١٤ - فاكس : ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق .
- أغرب الرحلات والمفارقات .
- تجمع بين المتعة والمعرفة .
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً



جوهرة
المدينة المتحجرة

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع القانوني

١٩٩٦/٥٩٤٦

الترقيم الدولي : 977-253-106-2

دار الدعـــوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسى: ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية

☎ ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جوهـــرة
المدينة المتحجرة

تألف/ علاء الدين طعيمة

رسوم / يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

«مغامرات عجيبة جداً»

قمة الفرح أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعي للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويري نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

لم يكن مستغرباً أن يسافر هذا الغلام المغامر . . شديد الولع بالجواهر إلى بلاد الشرق الأوسط ، إلى هذه الممالك المترامية . . . هكذا استدل بعد البحث أن جوهرته الثامنة تقع فى مدينة الأحجار . . .

لم يكن يعرف فى البداية ماذا تعنى كلمة الأحجار . . ولكنه كعادته . . . لا يحب التقاعس ولا الاستسلام . . . بل دفعه النشاط والمثابرة إلى الذهاب إليها . . .

لقد اشترت له أمه جواداً عربياً أصيلاً مما كانت قد ادخرته من صناعة السلال؛ حتى يستطيع أن يتحرك بسرعة أكبر وراء الجواهر المنشودة . . . وأن يكف عن الترحال سيراً على الأقدام . . . ولقد فرح

فرحاً لا نهاية له بالجواد القوى... الذى كان أبيض الرجلين والبطن.. أما الظهر ومسحة الخلفية فكان باللون الأسود..فكان لوحة فى ذاته...هذا مما جعل أمر الرحلة إلى مدينة الأحجار المزعومة ميسراً عن بقية الرحلات السابقة، فلقد كان مؤمن يتبختر بالحصان الذى أسماه « شهاب » يتفرج على الدنيا بأنهارها وبحارها وجبالها بلا مشقة . ولقد اتبع كل الدلائل التى ستوصله إلى مدينة الأحجار..

وقبل أن يدنو منها حاول أن يسأل أى انسان عنها... حتى لاح له راعٍ بدوى بأغنامه... فاقترب منه بالحصان وسلم عليه ثم سأله:

هل أنا أسير فى الاتجاه الصحيح نحو مدينة الأحجار؟

- فضحك البدوى وقال له:

سائح جديد؟ يبدو أن المدينة أصبحت شهيرة جداً.

فتعجب مؤمن من كلام الرجل وقال له: وماذا بالمدينة جعلها شهيرة هكذا؟

فبدا على الرجل البدوى الارتباك وهمَّ بالانصراف وهو يسوق أغنامه وقال بتردد:

- لا ... لا شئ.. ولكن عليك بعدم الغياب فيها ، حتى لا يصيبك سحرها.... لم يعط الرجل فرصة أخرى لمؤمن حتى يستفسر منه عن أشياء أخرى.. ودقق نظره نحو المدينة فبدت قبابها وأشجارها من على البعد بمنظر جميل وإن كان بعيداً

جداً، ولقد استفزه الراعى بكلماته.. فأعمل مهماذيه فى جسد شهاب؛ فانطلق كالشهاب الساقط يطوى الأرض طياً بأقصَى سرعة إلى المدينة... ولما أصبح على باب المدينة ، هدَّأ مؤمن من سرعة الحصان وبدا كل شئ ساكنا وكأن المدينة خاوية خالية من أى شئ فيه روح الحياة... لقد كانت النظرة الأولى من خارج البوابة عادية طبيعية... فالناس يملأون الشارع، ونساء تشترى من المحلات والدكاكين. وبعض الحيوانات رائحة أو قادمة، ويبدو فى الوهلة الأولى أن المدينة تعج بالنشاط... أما الوهلة الثانية والنظرة المدهشة أن أى من هذه المخلوقات لا يتحرك.. الكل لا يهمس.... الكل ثابت مكانه، كان مؤمن يدورها فى رأسه... وسأل

نفسه، هل هو مخدوع؟...أم أنها لوحة كبيرة الحجم؟ أم أنها أصنام وضعت بمهارة عالية فى هذا المكان ؛لتبدو كمدينة؟

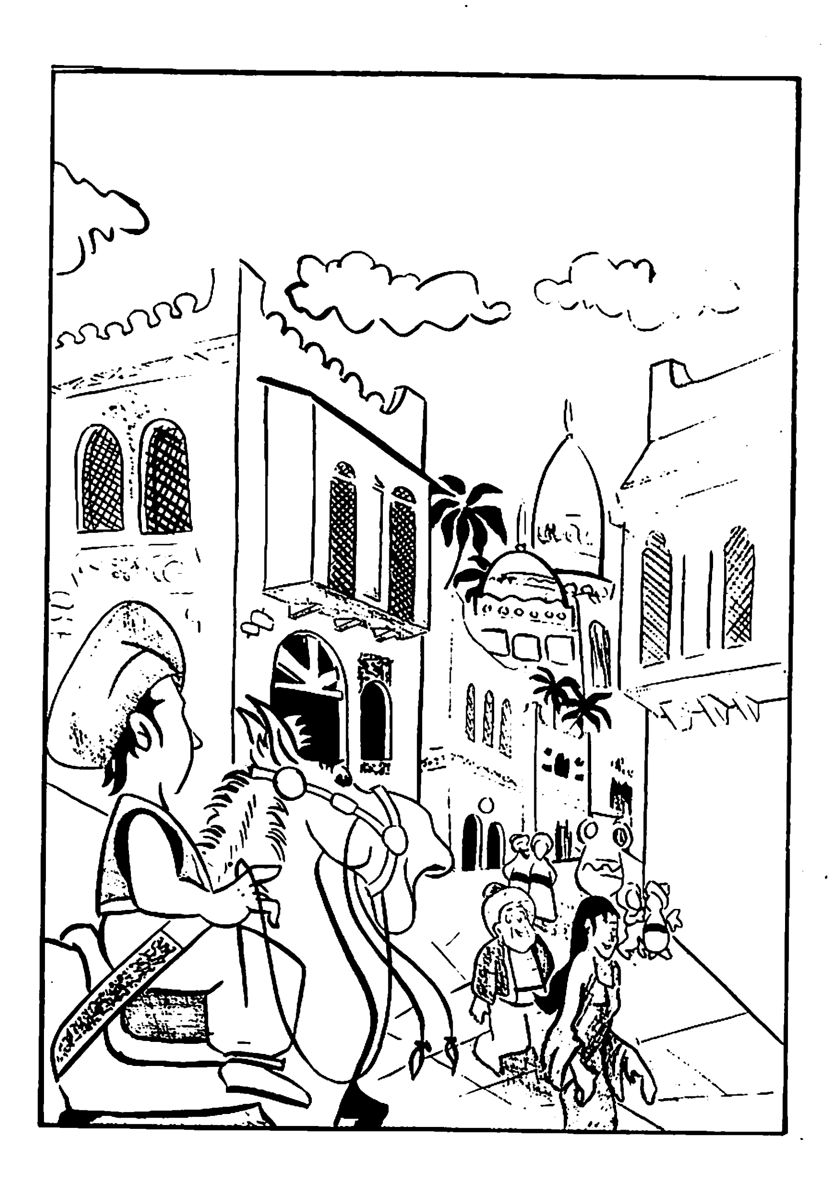
كان على البوابة رجال واقفون يتحدثون وبجانبهم امرأة تنحنى لتحمل قفصاً به أرانب بيضاء، ويعبر البوابة كلب يجرى وراء قطة، والشارع الداخل للمدينة أصبح يجذب مؤمن للدخول. .ولكن كل هؤلاء كأنهم قد ثبتوا على وضعهم... فلا الرجال انفضوا، ولا المرأة حملت الأرانب ولا الأرانب تحركت، ولا الكلب أكمل مطاردته والقطة لم تكمل فرارها.

أخذ شهاب يصهل وكأنه يعشق المغامرات مثل صاحبه... فدخل مؤمن يعتلى حصانه ليجوب

شوارع المدينة التى تحجر كل شئ فيها ، والناس يملأون كل موضع فيها ولكنهم من الحجارة.

كاد مؤمن أن يجن وهو يكاد يذهب للرجل ليسأله عما حدث للمدينة، ولكنه يكتشف أن الرجل الذى تكاد ملامحه تنطق بالحياة ليس إلا صنماً حجرياً قاسياً.

شئ غريب حقاً. . . ما الذى أصاب هذه المدينة؟ بكل ما فيها من عمارة جميلة تفصح عن حضارة كبيرة. . . كل شئ أصبح حجرياً صلداً رغم أنه على لونه لم يتغير. . . . حتى الخضروات والحيوانات، حتى الملابس والأردية. . . كل شئ من الحجر، ترجل مؤمن عن حصانه وسار يمسكه من لجامه، وكأن الحصان أيضاً قد أدهشته هذه المدينة



الغريبة وقال يكلم حصانه: « ليس أمامى أحداً أكلمه سواك يا شهاب... ترى هل هذه مدينة صنعها فنان خرافى رهيب؟... أم أن كل هؤلاء كانوا على قيد الحياة ثم أصابهم سحر غريب؟ يا إلهى... هل يكون هذا السحر من القوة بأن يجعل مدينة بأكملها من الحجارة؟ شهاب لابد أن هناك ساحراً حياً يرزق... بما أن هناك سحراً فلا بد من ساحر ... أليس كذلك؟

لابد أن نبحث يا صديقى عن هذا الساحر... لقد قال البدوى.. إن المدينة مسحورة... هيا.

سار مؤمن يفتش فى كل بيت ودكان وشارع... لقد دخل بيوتاً فتعجب للقائم والنائم والضاحك والباكى وكلهم حجارة... لقد دخل

قصر السلطان، وشاهد الخدم والحشم والوزراء والجنود والجيش، كلهم صامتون تماماً على آخر موقف كانوا عليه.

ولقد أخذه السير إلى الحانة التى كان الفجار يشربون فيها الخمر، فوجد السكارى وهم متحجرون على أوضاعهم.. فهذا يسكب الكأس فى حلقه، وهذا يصب كأساً أخرى، وهذا يداعب راقصة ماجنة، وهذا يسير مترنحاً، وهو يرقص فوق المائدة. الكل تحجر فى لحظة.

ومر بعد ذلك على السوق... وشاهد البائع الذى يطفف الميزان، واللص الذى يسرق وقد تجمد متحجراً هو وضحيته، وسيدة تبكى على مال ضاع منها، ومشاجرة بين رجلين. ومر على محكمة

والناس فيها يبكون وحولهم جنود بسياط يعذبونهم، وبدا الظلم أيضاً قد تحجر، وشاهد أناسا وهم يتكلمون على شخص يمر أمامهم، لقد تحجروا على نميمتهم.

ثم مر على نادٍ للغناء والتهريج والرقص والفجور، والمغنيات العاريات، والناس معجبون، يرفعون أيديهم، ومن يصفق للفجور قد تحجر على حاله، ومن يطرب لسماع الكلمات الخليعة قد ثبت على طربه، ومن يردد الكلمات... كأنها قد تحجرت على لسانه.

ولقد أصاب مؤمن من ذلك المشهد غمٌ عظيمٌ.. فلقد توقف في ساحة الميدان بوسط المدينة، وترك لجام الحصان، ثم دار يلف فيه ينظر للناس ... ولم



يملك نفسه أن صاح فيهم كأنهم يسمعون:

« أيها الناس.. أين أنتم الآن؟ ما الذى تفعلونه؟ لقد أشهدنى الله عليكم... من الذى فعل بكم ذلك؟ كيف تتمرغون فى أوحال المعاصى وأنتم لا تدرون متى كنتم ستموتون؟ هل أنتم ميتون؟ أم ستستيقظون من جديد؟.. انظروا ... ماذا لو كانت هذه نهايتكم؟ وكل ما أنتم عليه الآن هو خاتمتكم؟ ستبعثون على ما أنتم عليه الآن... هبوا من غفلتكم هذه... أصلحوا أحوالكم... استغفروا ربكم ثم توبوا إليه... إن الله رحيم ودود.. أنت أيها الضاحك ملء فيك... ستبعث على ضحكتك. وأنت أيها السكير ستبعث بكأسك... فماذا ستقول لله عنها؟. وأنت أيها الناظر من وراء الناس إلى

أعراض الناس. . . هل رضيت أن يفضحك اللهُ الآن عندما حَجَّرَك على حالك؟ وأنت أيتها الراقصة. . لو هذا يوم موتك فماذا أعددت ليوم السؤال؟ وأنتم يا من تنمون وتذكرون زميلكم فى غيبته عندما يسألكم الملكان عن الله والدين والرسول؟ألن تنطق السنتكم بما قلتم على زميلكم؟ ولسوف تندمون جميعاً. . . وأنت. . أنت أيها السلطان النائم فى فراش النعيم. . اعلم أنك لو انتهيت على حالك هذه لهلكت يوم الدين. . كيف ترضى أن يُشْرَبَ الخمرُ فى مدينتك؟! كيف سمح لك دينك بإطلاق الراقصات والمغنين يسممون عقولَ الناس ويُلْهُونَ الصالحين عن صلاحهم؟! كيف ترفلَ فى أثواب النعيم والناس من جوعهم وفقرهم يسرقون بعضهم!

آه لو كنتَ حياً الآن لأريتك مدينتك تسرق بعضها بعضاً. . انظر. . .ها هو فلاح يمد يده بالرشوة لأحد موظفيك، وهذا البائع قد طفف الميزان ليسرق، وهذا الحداد مع النجار مع البناء قد خرجوا من مصنعك قبل أن يتموا العمل. . . انظر إلى عملهم لا تجده متقناً.

انظر إلى الورقة التى يعطيها هذا الطبيب لمريضه. .فيها المرض قبل الشفاء. . . لقد فعل ذلك حتى يرجع له المريض مرة أخرى. . . حتى يكسب. . لأنه لا يقدر على شراء الخبز. . . لأنك تنهب زراعة القمح. . . . أيها الناس . . . أفيقوا. لو أراد الله أن تكون هذه نهايتكم وكتب عليكم ألا تعودوا لفرصة أخرى. . فهذا مما يؤسف له. . .

فلسوف تعذبون على أعمالكم عذاباً عظيماً.

* * *

لم يرد عليه أحد. . ورجع إليه صدى الصوت أسيفاً حزيناً فلم يكن يخاطب إلا حجارة صماء، وشعر أن هذه المدينة عليها غضب من الله. . . فما بالُ حياتهم البينة تبدو بالفساد والفسوق. . وزادت ثورة مؤمن وعَظُمَ غَيْظُه. . . إنه يريد أن يكلم أحدًا أو يسمعه أحد، عاد فقفز فوق شهاب وانطلق يجوب الشوارع وهو يقول:

هل من مجيب؟ هل من حى يرزق؟ هل هناك من يسمعنى؟

لم يرد عليه أحد ولم يسمعه أحد وبدا اليأس يتسلل إلى صدره، وبدا أنه من المستحيل العثور على أحد الأحياء فى المدينة كلها. . . فقرر أن يرتاح فى مكان خالٍ من هذه الأصنام الآدمية ولقد اشتد به

العطش. . . فقال فى نفسه: « لا يعقل أن يكون الماء أيضاً قد تحجر كبقية الأشياء سأبحث يا شهاب عن أى مصدر للماء »

أخذ يجوب الشوارع حتى سمع صوت خرير الماء يأتى من أحد الأزقة الجانبية فقال:

« الحمد لله هذا صوت الماء. . . إنه صنبور فوق عين ماء صافية »

وأتى مؤمن إلى عين من الماء هى مصدر الماء للمدينة كلها. . كانت محاطةً بسياج صخرى منقوش على هيئة نساء تمسك كل واحدة قربة من الماء وينزل من كل واحدة تيارٌ مائىٌ يسقط فى العين مرة أخرى.

كان منظرها بديعاً. توقف مؤمن ثم ترجل عن حصانه وسار بين الآدميين المتحجرين ، واقترب من العين ثم مد يده فشرب وحمد ربه وتأكد أن شهاب أيضاً يريد الماء، فنظر يبحث له عن إناء يملأ به الماء. . .وأخذ يبحث وينقب، كان هناك زقاقٌ آخر يتفرع من زقاق العين، لمحه مؤمن وسار اليه وعندما وقف على ناصيته. . . فوجىء بمنظر جمد الدم فى عروقه. . . لقد كان منظراً بشعاً مخيفاً. . . ثلاثة من الرجال وجوههم وملابسهم كقراصنة البحار، متجمعين حول فتاة جميلة مطروحة على الأرض، وبيد أحدهم سيف حاد والآخر يحمل بلطة لامعة ، والثالث يرفع بكلتا يديه ساطوراً غليظاً ينوون الثلاثة أن يهووا على الفتاة فى ضربة واحدة. وهى ترفع

ذراعيها تستغيث منهم ، وكان واضحاً أنها لم يصبها نسوء حتى هذه اللحظة، والأغرب من ذلك أنهم جميعاً قد تجمدوا في هذه اللحظة الحاسمة. . . لحظة القتل. . . كان المنظر دليلاً دامغاً على الفساد المستشرى والإجرام الشنيع. اقترب مؤمن بحذر من الموقف. . كانت وجوه الرجال الثلاثةمفزعة رهيبة.

ووجه الفتاة يشمله الفزع الذى نطقت به كل خلجة من ملامح وجهها.

ولما أصبح مؤمن يقف أمامهم أخذته بالفتاة شفقة وثارت في دمه غريزة الدفاع عن الأنثى، فحاول أن ينتزع السيف من يد صاحبه، ولكنه لم يستطع فكل شئ صلب متحجر، ولكنه لم يشعر بنفسه عندما لمح دموعها على خديها لها بريق الرخام الشفاف وكأنها

ما زالت تسح، فمد يده ليمسح دمعها، وفوجىء أن أصابعه قد ابتلت وكاد أن يجن، فالفتاة التمثال تبكى حتى وهى متحجرة ، ولقد نفذ سهم الشفقة إلى قلبه وهو يرى أن الدموع تنهمر من عين التمثال، وحاول أن يحمل تمثال الفتاة فكان أثقل مما يقدر على حمله... وسمع صوتاً لأول مرة يأتى من ورائه فانتفض يستل سيفه.... فإذا بشهاب قد قلق لغيابه فأتى يبحث عنه.

ولقد أصاب مؤمن الرعب من شهاب فى بادئ الأمر، ولكنه لما رآه قال:

« أهذا أنت يا شهاب؟ لقد أصبتنى بالخوف... انظر يا شهاب إلى هذه الأعجوبة الغريبة.. »



وعاد مؤمن ينحنى على الفتاة بتلقائية عندما رأى التراب والوحل يلوثان شعر رأسها ، مد يده ليمسحه.

فإذا بها تعود للحياة فجأة وبسرعة وأول شئ حدث منها أنها أكملت صرخة الفزع من الرجال المرعبين.

أما مؤمن فلقد انتفض كالذى صعقته الكهرباء، وارتمى بجانب الحائط الجانبى ولكنه اندفع يقفز ممسكاً بتلابيب الفتاة التى حاولت الفرار ، وقال لها يهدىء من روعها:

لا تخافى ... لاتخافى، انتظرى... إنهم أصنام... مجرد أصنام اهدئى.

كانت الفتاة التى عادت إلى الحياة فى حالة يرثى

لها، وكانت تصرخ بهستيرية شديدة، وظنت بمؤمن شراً فى بادئ الأمر... إلا أنها هدأت لما قال لها «اذكرى الله... لا إله إلا الله.. محمدٌ رسول الله» وأخذت تتفرس فى وجهه وهى جالسة أمامه على الأرض، وهو منحنٍ أمامها، ثم نظرت مرة أخرى إلى أصنام القتلة.

وبدا أنها لم تفهم شيئا فشهقت شهقة عظيمة ثم أُغشى عليها فى الحال.

وبصعوبة شديدة استطاع أن يحملها فوق ظهر الجواد شهاب ، وسار يقوده من لجامه يبحث عن بيت يداويها فيه... وأمام أحد البيوت الحقيرة القذرة توقف شهاب ولم يستجب لمؤمن ، ولقد شعر مؤمن أن الجواد قد استوقفه أمام بيت الفتاة.. فدنا من

الباب ثم دفعه فانفتح ليجد غرفة ضيقة بها فراش بسيط.

وبدا من أثاث الحجرة أنها لشخص فقير جداً.

اقترب بالحصان من الباب ثم بجهد جهيد حمل الفتاة ثم أدخلها على فراشها، ولقد تأكد أن الغرفة لها، عندما وجد الأشياء بالداخل لم تعد متحجرة مثل صاحبتها.

وبعد وقت طويل استطاع أن يجعلها تفيق من جديد، فأول ما فعلت أن طلبت الماء... فأحضر لها الماء ثم جعلت تتفرس فى حجرتها وفى مؤمن.

ثم قالت بتعجب:

من أنت؟ ... وما الذى جرى؟ ... وكيف أنا

هنا الآن؟ عليَّ بالهرب . . سيقتلوننى.

ولما حاولت الحركة أشار لها مؤمن بأن تهدأ وقال لها : أولاً أنا اسمى مؤمن. . . وأنا غريب عن مدينتكم. . . أما عما جرى هنا . . . فأنت أدرى منى به ولك أن تعلمى أنك الوحيدة فى المدينة التى لها مظهر الحياة. . فكل ما بالمدينة حجارة ، حتى الناس.

لم يكن عقل الفتاة قادراً على استيعاب كلمات مؤمن فقالت:

ماذا يعنى كلامك؟ أتقصد أن الناس قد أصبحوا حجارة؟!!

قال لها:

- أتذكرى هؤلاء الأشرار الذين كانوا سيقتلونك منذ قليل؟ . . . لماذا لم يفلحوا فى ذلك؟

قالت بسرعة:

ـ نعم. . .لقد تذكرت أنك ظهرت أمامى وهم ثبتوا على وضعهم. . . ماذا فعلت لهم حتى أصبحوا هكذا؟

قال مؤمن وهو يضحك:

ـ أنا لم أفعل لهم شيئا. . . إنما أنا قد دخلت المدينة فوجدتكم كلكم كالأصنام والتماثيل وأنت معهم. تعجبت الفتاة، فما كان من مؤمن إلا أن اجتذبها خارج الغرفة، وسارت معه فى طرقات المدينة وشوارعها ترى بعينها مدينتها وقد أصابها ما أصابها. فقال مؤمن وهو يسير بجانبها:

- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[١] لقد درست أحوال المدينة... وهالنى ما رأيت من فسادها وفسوق الناس وظلمهم، وأظن أن هذا عقاب من الله على هذا الظلم.

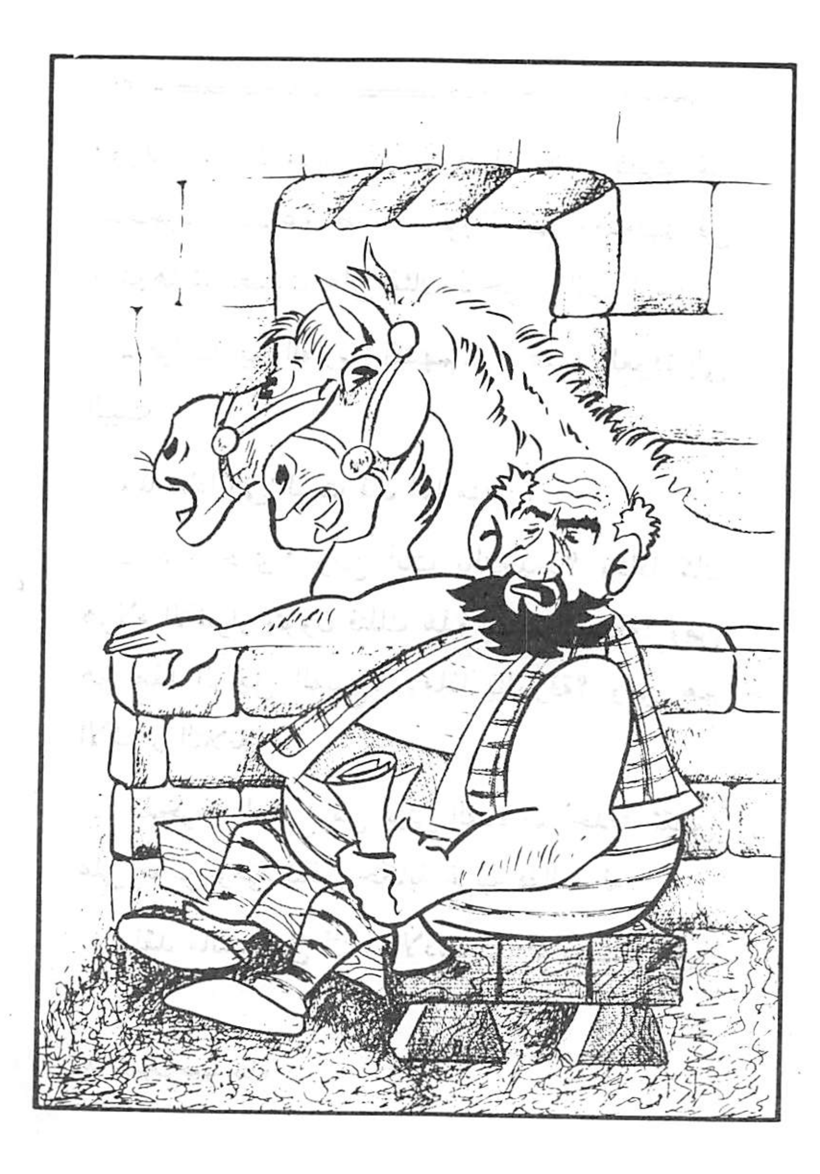
فقالت له الفتاة:

- حقاً... اعلم يا مؤمن أن الله تعالى قد قال: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[٢] أليست هذه مدينتي؟ ولكن لم يرضني منها ما كان عليه الناس والحكام... لقد انتشر الفقر ومعه انتشرت السرقة

(١) [هود : ٢].
(٢) [الإسراء : ١٦].

والنصب والغش والنفاق وانتشر الغنى فى علية القوم فناموا فى نعيمهم ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وانغمسوا فى المرح والفرح والشهوات والمعاصى وفسقوا فى المدينة... اسمع ..أنا أريد أن أعود للمكان الذى كانوا سيقتلوننى فيه... هناك أمر مهم..

هناك أمر مهم. لم ينتظر مؤمن أن يفهم بل جريا معاً إلى الزقاق حيث كان الأشرار الثلاثة ، ومن جانبهم مرت الفتاة ثم دلفت إلى اسطبل للبهائم ...كانت الجياد هى الأخرى كالأصنام حتى إذا أتت على رجل يجلس فوق مقعد من الخشب بين التبن والبرسيم ، كان قبيح المنظر شرير الملامح، ممسكاً بورقة بين أصابعه.. فمدت يدها وانتزعت



الورقة، فأدرك مؤمن أن الورقة لها لأنها كانت غير متحجرة وبسرعة طوت الورقة ثم وضعتها فى صدرها ثم بصقت على تمثال الرجل وقالت لمؤمن:

ـ هيا بنا أيها الفارس الشهم. . . علينا بالعودة إلى البيت.

ولما عادا إلى البيت قال لها مؤمن:

ـ ماذا جرى؟ ومن أنت بالتحديد؟ ولماذا كان هؤلاء الأشرار ينوون قتلك هذه القتلة الشنيعة؟ ومن هو هذا الرجل القبيح؟ وماذا بالورقة؟ ومن هم الأشرار الثلاثة؟

انفجرت الدموع من عينى الفتاة ثم أخذت تقص على مؤمن وهى تبكى حكاية غريبة فقالت له:

ـ لقد ماتت أمى أثناء ولادتها لى ، وشملنى أبى

برعاية لا مثيل لها ورغم فقره المدقع إلا أنه حاول أن يشعرنى بالغنى عن الناس. . .

فسألها مؤمن مقاطعاً:

- وماذا كان يعمل؟

قالت الفتاة:

ـ لقد كان والدى معلم المدينة، يعلم الأطفال فى مدرسة المدينة، وفى ذات الوقت كان كاتباً يكتب أى شئ يُطلب منه كالرسائل والشيكات والطلبات الرسمية للسلطان، ولقد فسدتِ المدينةُ عندما أُهين المعلمُ ولم يأخذ حقه.

فقال مؤمن:

ـ ألم يعرف الناس هذا البيت الذى يقول:

قف للمعلمِ وَفّه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

فى أى مكان فى الدنيا للمعلم قيمةٌ وقدرٌ عالٍ وإلا فعلى الدنيا السلامُ. . ها. . أكملى . . . ولكن نسيت أن أسالك. . . . ما اسمك؟

ردت الفتاة:

اسمى. . . لا تضحك من اسمى. . . أنا **فكرة** . . اسمى فكرة.

فضحك مؤمن وقال:

اسم جميل . . . . هناك فكرة. . . وهناك أفكار. . . وهناك فكرونة. . . ها هاها . . . اكملى يا فكرة .

قالت فكرة:

ـ لقد عانى والدى معاناة شديدة وهو يشاهد هذه الانهيارات الأدبية والعلمية والأخلاقية فى المدينة، فلم يقدر وحده على المقاومة ، فمرض مرضاً شديداً. وقبل وفاته ناداني ثم أخذ يوصينى بحفظ الله والدين والعمل على مقاومة الفساد ثم أخبرنى عن شئ عجيب.

لاحقها مؤمن مسرعا:

- وما هو هذا الشئ؟ قالت فكرة:

ـ لقد مد يده فى جيبه وأخرج ورقة مطوية وقال لى « يا بنيتى... هذه خريطة كنز كبير... لم يكن ليعلم مكانه سواى فى المدينة كلها... أنا كنت سأبحث عنه حتى ننتفع بما فيه.... ولكنى

الآن على فراش الموت. . .جدى يا بنيتى فى البحث عنه. . .فلسوف يحميك من شرور الناس ويغنيك عنهم». وأخذت منه الورقة ولم أكن أشعر بجارتنا العجوز التى كانت تمرض والدى، أنها كانت تسمع كلامنا، فبعد ممات أبى أوصيتها بألا تخبر أحداً من الناس بما رأت وسمعت. . . .ولكن هذه المرأة لم تكن أمينة على الأسرار، ولقد ظنت أننى سوف أهرب بالكنز. . . .فذهبت إلى «شوكان» صاحب اسطبل الحمير وهو من شرار الناس وحكت له الحكاية، فانتشر خبر الكنز فى المدينة كلها.

أخذت فكرة تبكى وانقطعت عن الحوار فقال لها مؤمن:

- رويدك يا صديقتى. . .رويدك. . . على

رسلك. . .ألا بذكر الله تطمئن القلوب. .أظن أن الورقة التى أخذتيها الآن من الصنم الجالس فى الإسطبل هى خريطة الكنز أليس كذلك؟

مسحت فكرة دموعها ثم قالت:

- بلى هى. . . أتعرف يا مؤمن؟ لوكان الأمر قاصراً على شوكان وحده. . .لكان طبيعياً. . .وإنما كل من بالمدينة. . . كل واحد فيها. . . أخذ يفكر كيف ينزع منى هذا الكنز. . .لم يفكر واحد فيهم أننى يتيمة، وأن الله قد أوصى الناس بحسن معاملة اليتيم.

فقال مؤمن وقد حزن لما سمع

- ألم يعلموا قول الله تعالى﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا

تَقْهَرْ ﴾ ألم يذكروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: [أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا] وأشار بأصبعى السبابة والوسطى وفرج بينهما؟

تنهدت فكرة ثم قالت له:

- كنت صغيرة أيامها... حتى تقاتل الناس علىّ.. منهم من يريد أن يتزوجنى حتى يحصل على الخريطة، ومنهم من اختطفنى وعذبنى حتى أبوح له بما فى الخريطة... ومنهم من دخل غرفتى وفتش فيها وحطم أثاثها، وأصبحت لا أطيق الحياة فى المدينة.. فلقد طمع فى مالى البائع والصانع والتاجر والأشرار، وتطرق الأمر إلى السلطان... الذى هددنى بالموت إذا لم أسلمه الخريطة... أرأيت

يا مؤمن؟ كل الناس يريدون أكل مال اليتيم. . لقد فاض الطمع فحطم كل أمل في الحياة الهانئة. . . . ولقد أرسل السلطان إلى شوكان الشرير وأمره أن يأخذ مني الورقة، ثم يقتلني حتى لا أطالبه بشئ بعد ذلك .

فقال مؤمن يكمل لها الكلام:

ـ واستدرجك شوكان إلى الاسطبل وهددك بالموت إذا لم تعطيه الورقة. . فقررت أن ترتاحى من طمع الجشعين فسلمت له الورقة. . . وفوجئت بثلاثة من الأشرار بعد ذلك يدفعونك للأرض ثم يهوون عليك بأسلحتهم. فأطرقت الفتاة الجميلة فكرة وطأطأت رأسها وقالت لمؤمن:

لقد عانيت كثيراً يا مؤمن.. وكنت على يقين أن الله سينقذنى من شرور الناس... ولكنى لم أتوقع أن يفعل الله بالمدينة هذا الفعل وهذا الانتقام.

فقال لها مؤمن:

- أستأذنك قليلاً حتى أدخل جوادى شهاب إلى الاسطبل... ثم أعود اليك لنتدارس حكاية هذا الكنز... واعلمى أنى أخاف الله وأعمل بما قاله الرسول، ولسوف أقف بجانبك رغبة فى رضا الله عنى لا أريد منك جزاءً أو شكوراً.

ابتسمت فكرة، وخرج مؤمن فقاد شهاب من لجامه، وذهب به إلى الاسطبل وربطه هناك أمام أحد أحواض الماء وقال له:

ـ ها هو بيتك يا صديقى . . . انه يشبه الاسطبل الذى غادرته فى بيتنا فى مصر . انتظر هنا ولن أغيب .

* * *

عاد مؤمن إلى غرفة فكرة، وأخذا يتدارسان موضوع الخريطة، وكانت هناك بعض الرسوم غير المفهومة إلا أن مؤمن بخبرته فى ذلك ونتيجة لكثرة تجاربه فى المغامرات استطاع أن يحل معظم الرموز المبهمة... وأثناء ذلك كان شهاب يتجول فى الاسطبل بعد أن سقط رباطه ، وجذبه منظر شوكان الجالس على المقعد بين التبن والبرسيم...فلما ذهب يأكل من البرسيم استعصى عليه ذلك لأنه كان متحجراً فحاول أن يلتهم بعض التبن إلا أنه لفظه فى الحال لأنه أيضاً كان متحجراً... وكأى حصان يبحث عن الطعام لاحظ أن هناك بعض التبن يعلو قبعة شوكان الجالس على مقعده فمد شهاب لسانه يلعق رأس شوكان، ولم يكن بالطبع يعرف أن

كل هذه الأصنام يمكن أن تعود للحياة بمجرد أن يُمسح على رأسهم. وفجأة صهل شهاب بشدة وهو يرى شوكان قد انتفض من مقعده ووقف ينظر حوله، وأصاب شهاب الذعر فانطلق يجرى عائداً إلى مؤمن. أما شوكان فلقد خرج يجرى ليجد أصنام الأشرار الثلاثة، فدهش من منظرهم ولم يجد الفتاة فجرى يتفقد المدينة ويبحث عن أسرته وأحواله. وبينما كان مؤمن يتحدث مع فكرة عن الكنز. . .إذا بشهاب يمد رأسه من الباب فهب إليه مؤمن وقال له :

- ما الذى أتى بك هنا يا شهاب؟ ألم تستطب الاسطبل أم خفت من تمثال شوكان؟

تعال. . .ما الذى فك رباطك؟ تعال. .سأحكم

رباطك هذه المرة.

ولم يغب مؤمن دقيقة واحدة حتى فوجئت به فكرة وهو يندفع إلى غرفتها والفزع بادٍ على وجهه يصيح بها - فكرة لقد اختفى تمثال شوكان من الاسطبل..... فما معنى ذلك؟

فزعت فكرة وقفزت فوق فراشها وأطبقت على الورقة وقالت:

لقد عاد الخطر مرة أخرى... يا إلهى... ماذا سنفعل؟ قال لها مؤمن وقد استل سيفه استعداداً لمواجهة الخطر:

- ليس من الحكمة أن نبقى فى غرفتك هذه.... بل علينا الفرار.. لأن شوكان سيبدأ

البحث من هنا بالتأكيد، قفزت فكرة خلف مؤمن على الحصان، وانطلق شهاب يبتعد عن المدينة تماماً حتى إذا وافى مؤمن مكاناً آمناً وكان بالقرب من بعض التلال فنزل وفكرة واحتجبا بستار التلال. وجلسا مرة أخرى يتحدثان عن أمر الكنز فقال مؤمن:

ـ انظرى للورقة يا فكرة... هذه الخطوط المتعرجة التى حيرتنا كثيراً فيما أعتقد تشير إلى الماء

فقالت له بفرحة:

ـ نعم نعم...وهذا البيت الكبير الملىء بالأخشاب المتكسرة إنما هو سفينة غارقة لأن الخطوط المتعرجة تعلوها

فابتسم مؤمن وقال:

ـ هذا حق يا فكرة.. أريدك اذن أن تتذكرى هذا الطائر غريب الشكل ، ألم تَرَيْهِ فى أى مكان من قبل؟

قالت فكرة:

ـ هذا هو ما يحيرنى.. فلم أر فى حياتى طائراً بهذا الشكل... جناح كبير وجناح صغير وليست له أرجل... ويبدو أنه ليس طائرا على الإطلاق.

ساد بينهما صمت التفكير، وأخذ كل منهما يحاول الوصول لسر هذا الطائر الغريب.. فلو توصلا إلى معناه فى الخريطة لأمكن لهما تحديد المكان.

فقال مؤمن:

- فلنتكلم بالمنطق يا فكرة.. لقد توصلنا إلى أن

الكنز فى سفينة غارقة فى البحر ولابد أن هذا الطائر هو الرمز الذى يحدد مكان السفينة على الطبيعة... أليس كذلك؟

قالت فكرة: أ

ـ أعتقد ذلك... ولكن ما العمل؟

قال مؤمن:

لنذهب إلى شاطئ البحر، فقد يكون هناك تجمعٌ لأسراب من هذا الطائر فى مكان ما أو قد يكون هناك ما يوصلنا لمعرفة مكان السفينة... هيا بنا ولا نضيع الوقت.... هيا بنا إلى شاطئ البحر قبل أن يقتفى شوكان أثرنا ويعثر علينا.

وعلى الفور قفزا فوق ظهر شهاب، وانطلق يقطع المسافات حتى وصل بهما إلى شاطئ

البحر. وكان الجو هادئا ويبدو الموج رقراقاً بديعاً فنزلا من فوق ظهر الجوادبمجرد وصولهما وأخذا يجيلان النظر حولهما، ويمسحان الماء بعيونهما حتى يلاحظا ما قد يمت للسفينة الغارقة بصلة فلم يجدا أى شئ يدل على ذلك .

فقالت فكرة:

- أعتقد يا صديقى .... أننا نحلم.. هذا الأفق لانهاية له.. وليست لنا حجة فالبحر ساكن هادئ الموج، ولو كانت هناك قرينة تدل على السفينة لبانت فى الحال.

فقال مؤمن:

- رويدك... علينا قبل أن نستدل على

السفينة. . . وأن نستطلع أمر هذا الطائر العجيب. انظرى يا صديقتى. . .إن والدك قد أخذ هذه الورقة من أحد الناس. . .قد يكون جداً لك أو قريباً منك أو أنه عثر عليها . . .إنما هو نفسه لم يكن يعرف أمرها. . . لأنه لو عرف تفسيرها لأخبرك فى الحال. . .إذن الأمر ليس سهلاً كما تتوقعين علينا أولاً بالصبر. . .هيا نركب الحصان ونتمشى به حذاء الشاطئ فقد يصادفنا شئ، واعلمى أن السفينة لن تبعد عن مياه البحر القريبة من المدينة. . . إن باب المدينة مرسوم فى أول الخريطة. . . . إذن نحن قد عرفنا حدود البحث. قالت وهى تقفز وراءه على الحصان شهاب:

ـ ما الذى ارسلك إلى يا أبو الأفكار؟. . .

هيا.... فقد يكون الخير مرسلاً من الله على يديك. كان الجو لطيفاً وكانا يضمنان عدم قدرة شوكان على اللحاق بهما لأن كل الجياد فى المدينة متحجرة. فأخذا يتحدثان ويضحكان طوال الطريق، وأخذ الجواد شهاب يصنع بعض حركات الجياد الخطرة والبهلوانية مما أثار جواً من المرح الذى كان لجمال جو البحر نصيب فيه.

وفجأة صاح مؤمن متألماً عندما نشبت أظافرها فى ذراعه وهى تقول منبهرة:

- مؤمن... الطائر. الطائر يا مؤمن... ها هو... إنه هو... بالضبط... ونظر مؤمن ناحية المكان الذى كانت تشير إليه فى الماء فلم ير إلا جزيرة صغيرة يضربها الموج بخفة. وفوقها تحوم

طيور صغيرة لا علاقة لها بشكل الطائر الذى يبحثان عنه فقال لها ببلاده:

ـ أى طائر هذا يا فكرة؟ أنا لا أرى شيئا . . . إنها جزيرة.

فقفزت من فوق شهاب وجرت نحو الماء كأنها تريد النزول ثم استدارت لمؤمن بخطوات بسيطة وقالت وهى متهللة:

انظر أيها النائم. . . دقق النظر. . . لا أظن أنك عديم الملاحظة إلى هذا الحد .

ـ فشعر مؤمن بإهانة. . . فكيف تلاحظ الفتاة ما لم يلاحظه، فدقق النظر وتمحص وفحص فإذا به يهتف هو الآخر:

ـ يا إلهى... إنك حقاً قوية الملاحظة يا فكرة... كيف لم ألحظ ذلك قبلك؟

كانت الجزيرة الصخرية التى يداعبها موج البحر ترتفع صخورها لتصنع نفس الشكل المرسوم فى الخريطة، وكانت حقاً تحتاج إلى قوة ملاحظة وسعة فى الخيال ليتم إدراك ذلك التشابه بينها وبين الطائر وبسرعة أخرجت فكرة الخريطة ونظرت فيها، فإذا الشكل متطابق مع الحقيقة.

فقال مؤمن:

ـ ها نحن الآن قاب قوسين أو أدنى من الكنز... فكرة... هل تحسنين السباحة؟

ابتسمت فكرة وقالت بثقة:

وهل تظن أن السباحة قاصرة على الفتيان

والرجال؟ أنا أعشق البحر وأجيد العوم. مؤمن أنا لم يكن ينقصنى غير رجل شديد احتمى به من هؤلاء الأشرار وشرهم، وأنا الآن أصارحك برغبتى الأكيدة فى العثور على هذا الكنز فى أقرب فرصة... قبل أن يصل إلينا هذا الشوكان وأعوانه. وصدقنى لن يضيع جهدك هباء... هذا الكنز لمن يعثر عليه ولا بد أن نقتسمه سوياً.

فرد مؤمن قائلاً لها:

- أنا لا أريد شيئا يا صغيرتى... إنه ميراث والدك.. وحقك.. وأنا لا أقبل أجراً على إغاثة الملهوف والمحتاج.

ابتسمت فكرة وقالت:

إن أجرك عند الله جِدُ كبيرٍ عظيمٍ.

وقبل أن تكمل إطراءها قاطعها مؤمن قائلاً:

ـ علينا الآن أن نسبح إلى الجزيرة وألا نضيع الوقت أكثر من ذلك. . . وأعتقد أيضا أن الكنز لن يصبر هو الآخر.

انفرجت أسارير فكرة وهى ترى الحماسة على وجه مؤمن واتقاد عزيمته. . وبالفعل سارا نازلين إلى الماء حتى غمرهما فسبحا مسافة كبيرة حتى بلغا الجزيرة، أما شهاب فلقد جلس على الرمال يرتاح ويتابعهما.

وفوق الجزيرة بدأ الأمر أكثر تعقيداً. . . وبدت الحيرة غالبة، فها هى الورقة قد ابتلت وكادت الرسوم أن تُمحى وها هو البحر الشاسع، فأين السفينة؟

لم ينتظر مؤمن أن يستبد بها اليأس فقال لها :

- أظن أنك تحسنين الغوص يا فكرة.

ولما أومأت برأسها علامة الإيجاب قال لها :

انتظرى أنت وسأغوص أنا . . حتى أستطلع الأمر تحت الماء .

غطس مؤمن ثم غاص تحت الماء ووقفت فكرة ترقب الموقف بعصبية وقلق، وتغيب مؤمن فترة من الوقت ولكنه سرعان ما خرج بعيداً عن الجزيرة ورفع يده مشيراً إلى فكرة وقال لها:

هيا. . . اسبحى إلىّ . . . . . أنا أقف على سارية السفينة . . تعالى .

ألقت نفسها بسرعة إلى الماء وسبحت حتى

وصلت إلى مؤمن فأصطدمت قدمها بشئ فوقفت عليه فقال لها مؤمن:

- أبشرى يا صديقتى... نحن الآن نقف فوق الكنز بأرجلنا.. استعدى للغوص

فردت فكرة ورقة الخريطة المبللة وقالت لمؤمن وهى تشير بإصبعها:

- تحت السفينة يوجد هذا الصندوق فى مستطيل به شئ يشبه البكرة... ماذا تظنه يكون؟

قال مؤمن:

ـ الأمر هنا لا يحتاج لقوة ملاحظة، يا سيدتى الصغيرة... الصندوق هو الكنز، والمستطيل ما هو إلا غرفة الآلات والبكرة هى البكرة التى يلف حولها

حبل الهلب الذى ترميه السفينة عندما ترسو فى البحر .. إذن فى منتهى البساطة... الكنز فى غرفة الهلب. .اسمعى سنغطس ونغوص سوياً وإذا احتجنا للهواء نصعد للسطح ...ثم نعاود البحث مرة أخرى . والآن ألقى بهذه الخريطة فلا حاجة لنا بها بعد الآن.

غاص مؤمن وفكرة إلى الماء، فهبطا مع سارية السفينة الغارقة، وكالأسماك أخذا يتعاملان مع جسم السفينة الذى اكتسى بالطحالب والأعشاب البحرية، وملأت فراغاته المرجانيات والكلسيات البحرية، وبسرعة وهما يكتمان الأنفاس حاولا أن يعثرا على غرفة الهلب.

* * *

كان منظر السفينة تحت الماء يبدو غريباً وخصوصاً أن الماء قد غير من ملامحها العادية، ولقد كانا يفحصان الناحية اليمنى من السفينة ولكن فكرة لم تتحمل فضربت جدار السفينة برجليها فصعدت بسرعة إلى سطح الماء وشعر مؤمن بأنه قد استنفد هواء صدره فصعد وراءها، وأخذا يلهثان وهما يلتقطان الأنفاس .

وقال مؤمن:

ـ الحمد لله.. لم تمر هذه الغوصة هباء فلقد بحثنا فى الناحية اليمنى ... فلا بد أنها فى الناحية اليسرى فلنسبح قليلاً جهة اليسار ثم نهبط بسرعة.. فالسفينة من جهة اليسار قريبة من سطح

الماء .

أبدت فكرة استياءها لأن الخوف قد بدأ يدب فى أوصالها وقالت :

ـ لماذا دائما الكنوز تكون فى سفن غارقة . . . ؟!

فضحك مؤمن وقال لها :

ـ هيا يا عزيزتى . . إنها من هناك قريبة من السطح . . . فيمكننا أخذ الأنفاس عدة مرات بسهولة .

ولما وصلا إلى الناحية الأخرى من السفينة استطاعا أن يغوصا بسهولة ، فشاهدا هذه الفتحة التى يتعلق منها الهلب واضحة . . فخرج مؤمن من الماء بسرعة وخرجت فكرة وراءه فقال لها .

ـ الآن سأهبط وحدى وسأربط نفسى بالحبل، وإليك طرفه، يمكنك أن تتحققى من سلامتى بهذا الحبل وحركته.. اتركى لى الأمر الآن فهو لا يحتاج إلا لفرد واحد .

نظرت له بامتنان ثم قالت له:

ـ اعلم أن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.. شكراً لك.. واحرص على نفسك يا مؤمن.

هبط مؤمن يبحث حتى وجد نفسه أمام باب الغرفة، فأخذ يجذبه بشدة ولكنه لم ينفتح فأمسك قطعة من الحديد الصدئ المتخلف من جسم السفينة وضرب بها الباب ضربة شديدة فانفتح، ولكنه

احتاج للهواء بعد هذا الجهد. . فخرج بسرعة ليصعد إلى الهواء فوجد فكرة تبكى ولما رأته فرحت فقال لها وهو يلهث:

- ماذا حدث؟ ما الذى يبكيك ؟

قالت له وهى تضحك من نفسها:

- لقد استبد بى القلق، ولقدحاولت أن أشعر بك من خلال الحبل ولكنه لم يهتز . .

فضحك مؤمن وقال:

- الحق معك فهذا الحبل أطول بكثير من المسافة تحت الماء. . لفيه على ذراعك حتى يكون مفروداً واصبرى قليلاً فأنا على وشك الوصول بإذن الله.

ومرة أخرى عبر الباب الذى كسره ليجد أمامه بين

فقاعات الهواء واخضرار الماء من الطحالب برميلاً خشبياً فأزاحه جانباً. وفجأة اندفعت أمامه سمكة كبيرة لها أسنان منشارية فكاد أن يغشى عليه من الخوف وارتبك ، ولكن السمكة نفسها قد فزعت منه ومرقت من جانب وجهه فارة من المكان ، فأخذ يتحسس وجهه وقد أصابه الرعب.

إلا أنه أكمل الدخول فأصبح فى داخل الغرفة تماماً، ونظر حول بكرة الحبال، وتحتها وجد فتحة لها مقبض أخذ يجذبه، وقد كان هواء صدره قد نفد ولكنه حاول لآخر مرة . . . فانفتح الغطاء الحديدى لتنبعث مجموعة ضخمة من الأسماك الصغيرة وكأنه قد فتح عشاً للعصافير، ومد يده فقبض على جسم الصندوق . . : كان صندوقاً صغيراً صنع من الخشب



وشرائح الحديد، وكاد مؤمن أن يختنق من شدة احتياجه للهواء فأخذ يهز الحبل. . . فلما شعرت به فكرة أخذت تجذب الحبل بأقصى قوتها ، فشعر مؤمن أنه يندفع فى الماء بقوة، واستطاع بذلك أن يصعد بسرعة أنقذته من الغرق وعلى سطح الماء لم تصدق فكرة نفسها وهى ترى الصندوق الذى حاربت من أجله كل هذه الحرب؟ وبسرعة سبحا إلى الجزيرة ليلتقطا الأنفاس وليستريحا من الجهد الشديد، وعلى الجزيرة أخذت تعالج الصندوق فلم ينفتح فقبض عليه مؤمن يمنعها من فتحة وقال لها:

ـ لقد أخطأت يا فكرة عندما سبحتى دون أن تحمى الخريطة من البلل . . .وها أنت تنوين فتح الصندوق؟ فمن يملك لنا أن نحسن غلقه ونحن أمام

مشوار سباحة آخر حتى الشاطئ؟ فقد ينفتح فى الماء وتضيع الكنوز فى الماء. ابتسمت فكرة وقالت وهى ترفع يدها عن الصندوق:

أعتذر لك يا مؤمن إذ أهنتك؛ وقلت لك أنك عديم الملاحظة.... أنا أيضاً مصابة بالتسرع وعدم التخطيط للقادم ... كما أننى لا أحسن توقع الأمور.. حقاً ان الله لم يترك الأمر للإنسان لقد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

ـ فضحك مؤمن وقال لها:

ـ لا عليك يا صديقتى... لقد سامحتك... وعفوت عنك.. والله يحب المحسنين.

هيا بنا نلحق بشهاب . .إنه يجلس أمامنا على الشاطئ ويبدو أنه قد ملّ الإنتظار .

وبسرعة احتضن مؤمن الصندوق بيسراه . وأخذ يضرب الماء باليمين واستطاعا بعد جهد بسيط أن يصلا إلى الشاطئ فلقدكانت فرحة الفوز بالغنيمة تنسى كل التعب ولما خرجا وقف شهاب على أرجله وقالت فكرة:

ـ والآن إلى أين؟ . . أين سأذهب؟ إلى مدينة الأحجار والأشرار؟ أم إلى أين؟

نظر مؤمن إليها مشفقاً ثم قال:

ـ مدينتك أولى بك يا فكرة ولكن. . .

لم يكمل كلامه فإذا به يلمح شبح رجل يتهادى

منرنحاً نحو الشاطئ. . . ونظرت فكرة نحوه ووقفت ثم صرخت:

ـ إنه شوكان. . . إنه يبحث عنا. . . هيا بنا. . . . لا بد أن نهرب من هنا .

ولكن مؤمن أمسكها من يدها ، ودفعها لتقف وراء ظهره واستل سيفه من غمده وقال لها:

ـ أنا لا أفر من رجل مثلى يا فكرة. . . إن الحق معى والسيف بيدى والله الحافظ.

اقترب شوكان ولم يبدُ على وجهه ما ينم عن أى شئ، فملامحه متبلدة قاسية كعهدها ، وزاد مؤمن من إحكام القبض على السيف واحتضنت فكرة صندوقها. . ولما دنا شوكان نهره مؤمن قائلاً:

ابتعد أيها الشرير وإلا فصلت رأسك عن جسدك

ولكن الرجل أخذ يتقدم ثم فجأة. . .ترنح ومال فى مشيته ثم سقط مرتمياً إلى الأرض وحذرت فكرة مؤمن قائلة:

ـ لا تنخدع يامؤمن. . . إنها خدعة . .هذا الرجل ماكر .

ولكن مؤمن لم يمتثل لنصيحتها وتقدم منه وانحنى فوقه ولمسه بيده، فكان الرجل يبكى بكاء مريراً، فرق قلب الغلام المسلم مؤمن وحاول أن يأخذ بيده وقال له:

- على رسلك أيها الرجل. . .لماذا تبكى؟ هل أصابك مكروه؟

نظر الرجل بعينين تائبتين الى مؤمن وهو يستعطفه ، ولمحت عيناه الفتاة الرقيقة فكرة ثم انهمر

فى البكاء وكب على وجهه ثم رفع فقال:

ـ مكروه؟ وأى مكروه يا بنى؟ هل من السهل عليك أن ترى أمك وزوجتك وأطفالك قد أصبحوا صخوراً لا تحس ولا تتحرك ؟ إنها آية من الله . . .إنه عقاب. . . أولادى وأهلى ماتوا وتجمدوا أمامى ليتهم ماتوا ودفنوا. . بل هم أمامى وأنا السبب. . . أنا والسلطان اللعين. . . لقد ظلمنا هذه الفتاة وطمعنا فى مالها وهى يتيمة. . . أرأيت يا بنى ما حدث للناس؟ خذوا مالى كله. .خذوا الإسطبل والحمير ولكن أعيدوا لى زوجتى وأعيدوا لأولادى مرحهم وحيويتهم ولسانهم. . .فكرة سامحينى يا فكرة. . .لقد تبت إلى الله ورجعت عن ذنبى. . .سامحينى. .

رق قلب فكرة الفتاة المسلمة التى تعرف ربها حق المعرفة. . . وتعرف أن الله يحب العفو عند المقدرة وأشفقت على شوكان التائب وقالت له:

- سامحتك يا عم شوكان.

كانت كلماتها الرقيقة كالسيف أو كالنار. . . فبمجرد سماع الرجل لكلمة « يا عم شوكان » حتى أخذ يبكى بحرقة نادماً على فعلته وحاول مؤمن أن يهدئ من حزنه فقال الرجل فى دموعه :

انظر يا بنى إلى الأخلاق. . انظر الى عظيم الطبع. . . لقدكنت سأقتلها يا بنى أنا كنت قاتلها برجالى الأغبياء. . . وها هى بدون مقابل. . . وبلا معاناه. . تقول لى سامحتك يا عم شوكان. . . قالتها كما كانت تقولها لى وهى طفلة صغيرة . . . أنا فى

ذاكرتها رجل كبير فيه ذكرى طفولتها الجميلة، وأنا الحقير الغبى المجنون الشرير.... لم أقدر أن مكانتى كانت عندها أعظم من كل ذهب أو جواهر أو غيره.... لقد كنت لديها كالأب... كنت كبيراً فى نظرها.. فلاحقته فكرة وهى مازالت تحتضن صندوق الكنز:

وما زالت كبيراً فى نظرى يا عم شوكان... ولازلت أنت أقرب جار إلى بيتنا أنت الآن تائب إلى الله حبيب إليه، وما دام الله قد أحب التائب فلماذا لا أحبه أنا أيضاً؟

فحاول مؤمن على الفور أن يزيل حالة الشجن التى كانا عليها فقال:

ـ إسمعا... أنا لدى فكرةٌ أريد تنفيذها... هيا

معى لنَعُدْ إلى المدينة. . . .كفى هذه الفترة التى قضتها المدينة فى أحجارها . . . يجب أن تعود إلى طبيعتها ولكن. .

فقاطعته فكرة:

- ولكن. .فى صورة أخرى. . .وفى عادات أخرى. .وفى حال آخر، ،عكس ما كانوا عليه.

لم يصدق شوكان نفسه وأدرك أن هناك من يقدر على إعادة أهله والمدينة كلها إلى حالها.

وكانت رحلة قصيرة قطعوها نحو المدينة ومروا فى طرقاتها وشوارعها حتى وقفوا أمام قصر السلطان فتوقف مؤمن وقال لهم:

هنا سنتوقف وقبل أن نوقظ أى فرد فى

المدينة. . . لابد أن نوقظ السلطان وحده حتى ينظر لحاله وكيف كان. يرى رعيته ويلمس حالتهم وهم على صمتهم وسكونهم، لابد وأن يرى بعينيه دون وزير يوسوس فى أذنه ، ودون حاشية تزين له سوء أفعاله، ودون عربدة ودون لهو.

وأنحنى مؤمن على السلطان فى مخدعة بين الجوارى والخمر والغناء واللهو ثم مسح على رأسه فانتفض السلطان يقول له:

ـ من أنت؟ وكيف دخلت هنا؟!.

لكنه لم يكمل تحقيقه مع مؤمن عندما فوجىء بما أصاب القصر. . . وبعد أن هاله حال القصر أخذه مؤمن من يده ، وأراه حال كل شبر فى المدينة، ووعظه فقال له:



ـ قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (١) وقال ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾(٢) وقال الرسول ﷺ : [ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته. .إلا حرم الله عليه الجنة] انظر يا سلطان المدينة لأفعالك . . . .ماذا لو كان تحجرك هذا موتاً؟ هل كنت تحب أن يحرم الله عليك الجنة؟

كان مؤمن يقول للسلطان هذا الكلام أثناء تجواله فى المدينة أما السلطان فكان يبكى على حال مدينته وما آلت إليه . . .ولم يمهل مؤمن حتى يكمل كلامه بل نزع سيفه وتوجه ناحية الخمارة، وأخذ بإنفعال وهستيرية يحطم جدرانها ويكسر موائدها،

(١) الكهف :٥٩ . (٢) الأعراف :٩٨ .

ولكن مؤمن استوقفه وقال له:

سأعطيك سر الحياة للمدينة. . امسح على رأس الإنسان يعودُ كما كان. . ونصيحتى أن توقظ الجنود أولاً، فهم القوة وافعل بهم ما تراه يرضى الله ورسوله، حتى إذا رضيتَ فتوقظ المفسدين كلهم وحدهم فتحاكمهم على فسادهم وبعد ذلك بقية الرعايا من الفقراء وتنصح لهم وتشملهم بالرعاية وتتعهد تنفيذ أوامر الله فيهم. والآن علىّ أن أرحل، فأمى الآن قلقلة لغيابى. . الوداع يا سيدى السلطان.

سلم السلطان عليه واحتضنه وقبله وقال له:

- وقبل أن توصينى على فكرة. . . لقد رضيت بها زوجة لإبنى الأمير « ذو القوة » .

ابتسم مؤمن لفكرة وقال لها:

- بارك الله لكما يا فكرة. . .السلام عليكم يا عم شوكان .

وكانت فكرة قد فتحت الصندوق ومدت يدها لمؤمن بجوهرة من جواهره، وقالت له:

هذا ليس أجراً منى على معاونتك لى. . وإنما هى هدية حتى تذكرنى بها .

فابتسم مؤمن ، ومديده إليها وقال بهمس:

- بل هى جوهرة التاج الثامنة يا فكرة .

« تمت بحمد الله تعالى »

وإلى اللقاء مع مؤمن في .....

جوهرة ميناء المذبح

جوهرة ميناء المذبح

واخترقا الساحة الواسعة ، وتوجها إلي عنابر الذبح ..
وفتح مؤمن باب العنبر الواسع فرأى كليرى واضعاً
رأسه تحت السكين العملاق المخصص لذبح البهائم
وفرانك يمسك سيفاً بيده ، وبيده الأخرى يمسك الذراع
التى إذا حركها .. هبطت السكينة العملاقة..

مع تحيات

دارالدعوة

للطبع والنشر والتوزيع